بِحرف

الاجتياح السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا (أغسطس ١٩٦٨)

إعداد

أ/ مصطفى عيد فهمي عيد

باحث دكتوراة - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة المنيا

الاجتياح السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا (أغسطس ١٩٦٨)

أ/ مصطفى عيد فهمي عيد

باحث دكتوراة - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة المنيا

المُلخَص:

كانَ الاجتياحُ السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا في أغسطس ١٩٦٨، وعُرفَ أيضًا باسم "غزو حلف وارسو" لتشيكوسلوفاكيا؛ جاءَ هذا الاجتياح كردّ فعل على الإصلاحات السياسيّة والاقتصاديّة التي قادها الزعيم التشيكوسلوفاكيّ "ألكسندر دوبتشيك"، والتي عُرفت باسم "ربيع براج"، وهذه الإصلاحات هدفت إلى تحقيق اشتراكيّة ذات وجه إنساني ممّا أثار قلق الاتحاد السوفيتي من احتمال خروج تشيكوسلوفاكيا عن النهج الشيوعي التقليدي، ومن انتشار حركات إصلاحية في دول الكتلة الشيوعيّة. فطلبوا من ألكسندر دوبتشيك تصحيح المسار السياسيّ إلّا أنّ دوبتشيك لم يفعل شيئًا، فقرّروا غزو تشيكوسلوفاكيا، وفي ليلة ٢٠-٢١ أغسطس ١٩٦٨، قامت قوَّات من "حلف وارسو" بقيادة الاتحاد السوفيتي، وبمشاركة قوَّات من بولندا والمجر وبلغاريا وألمانيا الشرقية بغزو تشيكوسلوفاكيا، حيث سيطرت القوَّات على المراكز الحيويّة في البلاد، بما في ذلك العاصمة براج. وقاموا باعتقال دوبتشيك وأعضاء آخرون من هيئة رئاسة الحزب الشيوعيّ التشيكوسلوفاكيّ الذين دعموا ربيع براج.

وعند إعلان خبر الاجتياح، قام الشعب التشيكوسلوفاكيّ بالتجمّع حول مَبْنَى اللجنة المركزيّة للحزب دعمًا للحكومة الإصلاحية ورفضًا للتدخل العسكري، ورغم نجاح الخطة العسكريّة إلّا أنّ موسكو فشلت في إقناع الشعب بأنّ دخول القوَّات تمّ بطلب تشيكوسلوفاكي، وفي ٢٣ أغسطس ذهبَ وفدٌ من براج لموسكو للتفاوض، وفي ٢٦ أغسطس تمّ التوقيع على بروتوكول موسكو الذي ألغى برنامج ربيع براج، بما في ذلك إعادة تأسيس الدور القيادي للحزب الشيوعيّ، وسيطرته الكاملة على الحكم في تشيكوسلوفاكيا.

الكلمات المفتاحية: ربيع براج - الاجتياح السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا - حلف وارسو - ألكسندر دوبتشيك.

Soviet Invasion Of Czechoslovakia (August 1968).

Moustafa Eid Fahmy Eid

of The Modern and Contemporary History Researcher

Department of History – Faculty of Arts - Minia University

Abstract:

The Soviet invasion of Czechoslovakia in August 1968, also known as the Warsaw Pact invasion of Czechoslovakia, came in response to the political and economic reforms led by Czechoslovak leader Alexander Dubček, known as the Prague Spring. These reforms aimed to achieve socialism with a human face, which raised concerns among the Soviet Union that Czechoslovakia might deviate from traditional communist policies and that reform movements might spread to other communist bloc countries. They asked Alexander Dubček to correct the political course, but Dubček failed to do so. They therefore decided to invade Czechoslovakia. On the night of August 20-21, 1968, Soviet-led Warsaw Pact forces, along with troops from Poland, Hungary, Bulgaria, and East Germany, invaded Czechoslovakia and seized control of key areas of the country, including the capital, Prague. They arrested Dubček and other members of the Presidium of the Czechoslovak Communist Party who supported the Prague Spring.

When the news of the invasion was announced, the Czechoslovak people gathered around the building of the Central Committee of the Party in support of the reformist government and in rejection of military intervention. Despite the success of the military plan, Moscow failed to convince the people that the entry of troops had been requested by Czechoslovakia. On August 23, a delegation from Prague went to Moscow to negotiate. On August 26, the Moscow Protocol was signed, which abolished the Prague Spring program, including the re-establishment of the leadership role of the Communist Party and its complete control over the government in Czechoslovakia.

Keywords: Prague Spring, Soviet invasion of Czechoslovakia, Warsaw Pact, Alexander dubček.

شهدت تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٦٨ حركة إصلاحية عُرفت باسم "ربيع براج" بقيادة الزعيم الشيوعيّ الإصلاحيّ "ألكسندر دوبتشيك" Alexander dubček سعت هذه الحركة إلى تحقيق اشتراكية ذات وجه إنساني من خلال إدخال إصلاحات سياسية واقتصادية تهدف إلى توسيع الحريات العامة، وتخفيف القبضة الشيوعية الصارمة؛ ومع ذلك أثارت هذه الإصلاحات مخاوف الاتحاد السوفيتي من احتمال انتشار أفكارها الإصلاحية إلى دول الكتلة الشرقية الأخرى، مما يهدد السيطرة الشيوعية على المنطقة، وفي ليلة ٢٠-٢١ أغسطس ١٩٦٨ قامت قوّات حلف وارسو بقيادة الاتحاد السوفيتي بغزو تشيكوسلوفاكيا، لسحق الحركة الإصلاحية، وإعادة فرض النظام الشيوعيّ التقليدي، وإعادة تشيكوسلوفاكيا إلى دائرة السيطرة السوفيتية.

الاجتياح السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا (أغسطس ١٩٦٨):

في مُحَادثة هاتفيّة جرت في ٩ أغسطس ١٩٦٨ حَاولَ ليونيد إيلينش بريجنيف Leonid Ilyich Brezhnev^(١) الضغط على زعيم الحزب الشيوعيّ التشيكوسلوفاكي ألكسندر دوبتشيك^(٢) ليقوم بتحركات عاجلة، مُشدداً على خطورة الوضع الراهن، كما حثّ دوبتشيك على الالتزام بالشروط التي تمّ الإتفاق عليها في بداية أغسطس بعد المُفَاوَضَاتِ الثنائية^(٣) في تشيرني ناد تيسو^(٤) وفي مُكالمة هاتفيّة أُخرى في ١٣ أغسطس أعرب بريجنيف عن استيائه من استمرار الثورة المضادة مُشيراً إلى أنّ الحزب التشيكوسلوفاكيّ لم يتخذ أية خطوات لمواجهة، وطالبَ دوبتشيك بتصحيح المسار السّياسي بما يتماشى مع اتفاقيات تشيرني ناد تيسو وبراتيسلافا مُتضمناً طلبات بالتدخّل ضد وسائل الإعلام، وإبعاد العناصر غير المُخلصة من الحزب مُتهماً "دوبتشيك" بالخداع والتخريب الواضح للاتفاقيات المُبرمة في تشيرني وبراتيسلافا، وكذلك الاحتياي على قيادة الحزب الشيوعي السوفيتي، وحذّر الزعيم السوفيتي من أنّه في ظل الوضع الجديد تماماً الذي نشأ فإنّ الاتحاد السوفيتي سيكون مُلزماً بالنظر في تبني تدابير جديدة ومُستقلة من شأنها الدفاع عن الحزب الشيوعيّ التشيكوسلوفاكي، وقضية الاشتراكية في تشيكوسلوفاكيا^(٥)؛ وفي المُقابِل أخبره دوبتشيك بأنّه يقوم بحل المشاكل بكلّ دقة وعناية حسب

الاتفاق وأنهم مشغولون بالتحضير لمؤتمر الحزب، والذي كان مُقررًا انعقاده في ٩ سبتمبر ١٩٦٨^(٦).

بعد عدة أيام أرسل بريجنيف يوم ١٦ أغسطس برقية عاجلة إلى السفير السوفيتي في تشيكوسلوفاكيا يأمره فيها بقاء دوبتشيك في أقرب وقت ممكن، لإعادة التأكيد على الخطورة غير العادية للموقف، والحاجة إلى اتخاذ إجراءات فورية، وقد فعل السفير ذلك في المساء نفسه؛ ولكن جهوده أيضًا لم تفلح، ويبدو أن فشل هذه الاتصالات المختلفة هو ما دفع بريجنيف في النهاية إلى استنتاج أنه لا يمكن توقع المزيد من رئاسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي القائمة، وأن الحل العسكري لم يعد من الممكن تأجيله، وأن أي تأخير في التصرف سيؤدي إلى حرب أهلية في تشيكوسلوفاكيا وفقدانها كدولة اشتراكية، ومنذ ذلك الحين تغيرت أساليب الموقف برمته^(٧).

وفي اليوم التالي (١٧ أغسطس) دعا المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي إلى اجتماع طارئ في موسكو، بحضور الأحزاب الشيوعية لتنسيق العملية، وأنعقد المكتب السياسي السوفيتي، وصوت بالإجماع على تقديم المساعدة والدعم للحزب الشيوعي وشعب تشيكوسلوفاكيا من خلال استخدام القوات المسلحة السوفيتية^(٨). وقد تم اتخاذ قرار الغزو أخيرًا في ١٨ أغسطس، ووافق الحاضرون على تقديم مساعدات عسكرية لتشيكوسلوفاكيا^(٩).

وهنا يتبادر للذهن سؤالاً: ماذا توقعت القيادة السوفيتية من السكان عند اتخاذها لقرار الغزو؟!

يبدو أن القيادة السوفيتية اعتمدت على ذكريات التحرير في عام ١٩٤٥، وبالتالي اعتقدت أن السكان سيقبلون الجيش السوفيتي، إن لم يكن بالزهور في أيديهم، فعلى الأقل بلا مُبالاة تامة.

وفي التاسع عشر من أغسطس أطلعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي زعماء ألمانيا الشرقية وبولندا وبلغاريا والمجر على القرار، وفي موسكو عُقدت اجتماعات مُماثلة لأعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، ورؤساء المنظمات الحزبية وكبار المسؤولين الحكوميين، وبعد الاجتماعات التي عُقدت في اليوم نفسه، انعقد المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي لعدة ساعات لمراجعة الجوانب العسكرية والسياسية للعملية المزمع

تنفيذها، وقد وقرت العروض التفصيلية التي قدمها وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان العامة السوفيتية أسباباً للتفاوض بشأن الجانب العسكري للغزو، ولكن الاستعدادات السياسية لم تحظ بقدر كبير من التدقيق. وعلى الرغم من أن أغلب أعضاء المكتب السياسي أعربوا عن ثقتهم في أن القوات السليمة في تشيكوسلوفاكيا -مجموعة من المتشددين في الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي الذين تأمروا سرًا مع الاتحاد السوفيتي قبل الغزو- ستنفذ خطتها للاستيلاء على السلطة، إلا أن بعض أعضاء المكتب السياسي بدوا أكثر تشككًا فيما سيحدث بعد دخول القوات إلى تشيكوسلوفاكيا^(١٠).

وفي اليوم التالي 20 أغسطس استمر المسؤولون والقادة العسكريون السوفييت في الحفاظ على تواصل دائم ومكثف مع نظرائهم في دول أوروبا الشرقية، وعلى عكس ما حدث في عام ١٩٥٦ عندما قامت القوات السوفيتية بالتدخل العسكري في المجر بشكل منفرد بعد رفض عروض المساعدة من رومانيا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا، حرص "بريجنيف" في عام ١٩٦٨ على منح الغزو طابعًا مشتركًا يظهر التعاون بين عدة دول^(١١).

جدير بالذكر أنه في اليوم نفسه اجتمعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي للتحضير لمؤتمر استثنائي في سبتمبر، خصص اللقاء لمناقشات بين الإصلاحيين والمحافظين؛ وخلال الجلسة تلقى السفير التشيكوسلوفاكي في المجر اتصالاً مجهولاً يبلغه بغزو سوفيتي وشيك بالتعاون مع دول حلف وارسو. نقل السفير الخبر إلى رئيس الوزراء أولديتش تشيرنيك Oldřich černík^(١٢) الذي كان مع دويتشيك في الاجتماع، وحاول تشيرنيك التحقق، ولكن لم ترد تقارير تؤكد ذلك. وعلى الحدود كانت القوات السوفيتية في تلك الأثناء مستعدة للتحرك ومزودة بأحدث المعدات يرافقها ضباط يتحدثون اللغة المحلية لإقناع الشعب بأن التدخل جاء بطلب الحكومة، وقد شملت خطة الغزو أيضًا دبابات وشاحنات دعائية للسيطرة على الإعلام والمقرات الحكومية؛ وقبل ساعة من التحرك أرسلت القيادة السوفيتية برقية للحزب الشيوعي الروماني تزعم أن حكومة وشعب تشيكوسلوفاكيا طلبا التدخل للقضاء على الثورة المضادة ودعم الاشتراكية^(١٣).

بدأت عملية الدانوب/دوناج في تمام الساعة الحادية عشر مساءً، وشاركت فيها قُوَّات مُقاتلة من بولندا وبلغاريا والمجر إلى جانب وحدة اتصال من ألمانيا الشرقية في إطار حلف وارسو تحت قيادة نائب وزير الدفاع في الاتحاد السوفيتي؛ وعبرت القُوَّات الحدود، وقامت باجتياح العاصمة براج Prague وشارك في العملية نصف مليون جندي مع مُعدَّات عسكرية ضخمة، وانطلقت بخطط مُنظمة لاحتلال ٢٨ موقعاً^(١٤).

تجدر الإشارة أنَّ القيادة العليا السوفييتية بذلت جهوداً كبيرة للتأكد من أنَّ القُوَّات القادمة لن تواجه أي مقاومة مُسلحة، فعندما عبرت القُوَّات السوفييتية الأولى الحدود اتصل نائب وزير الدفاع السوفيتي بوزير الدفاع الوطني التشيكوسلوفاكي والقائد العام لودفيك سفوبودا Ludvík svoboda^(١٥) وحذرهما من أنه إذا أطلق الجنود التشيكوسلوفاكيون رصاصة واحدة في سبيل المقاومة، فإنَّ الجيش السوفيتي سوف يسحق هذه المقاومة بلا رحمة^(١٦).

ورغم أنهم لم يُرحبوا بالغزو لكن اعتقدا كلاً منهما أنَّ المقاومة المُسلحة لن تُؤدِّي إلا إلى إراقة دماء واسعة النطاق لا طائل منها، كما أصدرت هيئة رئاسة الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي والحكومة التشيكوسلوفاكية على الفور تعليمات إلى الجيش وقُوَّات الأمن بعدم إثارة مُعارضة نشطة، وأصدر قائد الغزو السوفيتي بياناً -أعدَّ مُسبقاً- باسم القيادة العليا السوفييتية يحث فيه الجنود التشيكوسلوفاكيين على البقاء في ثكناتهم؛ ونتيجة لكل هذه المُناشدات لم تواجه القُوَّات السوفييتية وقُوَّات حلف وارسو أية مقاومة مُسلحة على الإطلاق، وكانت القُوَّات المحمولة جواً (السوفييتية) وأفراد العمليات الخاصة في جهاز المُخابرات السوفيتي في طليعة هذا الغزو، وتبعهم في غضون ساعات قليلة ما يقرب من ١٧٠ ألف جندي سوفييتي نظامي، وانتقل في الأيام اللاحقة ما يقرب من ٣٠٠ ألف جندي سوفييتي إضافي إلى تشيكوسلوفاكيا، ليصل العدد الإجمالي في حدود ٤٥٠ ألفاً إلى ٥٠٠ ألف جندي^(١٧).

على أية حال، وصلت القُوَّات إلى وسط براج، وفي غضون ساعات استولت الوحدات التي يقودها السوفييت على شبكات النقل والاتصالات في تشيكوسلوفاكيا، وحاصرت جميع المباني الرئيسة للحزب الشيوعي والحكومة في براج، وغيرها من المدن، ثمَّ بدأت القُوَّات السوفييتية في احتلال المواقع الرئيسة بشكل منهجي (بما في ذلك القواعد العسكرية والمطارات)،

وبدأت في إنشاء مرافق اتصالات وبت جديدة^(١٨). وفي تلك الأثناء كان القادة التشيكوسلوفاك مُجتمعين في مقرّ اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعيّ، ومنعًا لتحوّل الاجتياح إلى مجزرة ضد الشعب أو الجيش، دعا ألكسندر دوبتشيك إلى اجتماع لصياغة بيان يُدين التدخل العسكريّ، ويدعو القوّات التشيكوسلوفاكيّة إلى عدم المُقاومة لتفادي اتهامات بدعم ثورة مُضادة^(١٩).

وبعد التصويت على البيان، تمّ بثه في الساعات الأولى من يوم الأربعاء ٢١ أغسطس إلى العالم أجمع عبر الإذاعة والتلفزيون، على الرغم من أنّ مدير إدارة الاتصالات اللاسلكيّة أمر بإغلاق جميع أجهزة الراديو^(٢٠)، وأدانوا فيه التّدخل وشددوا على أنّه لم يدعو أحدهم قوّات دول حلف وارسو إلى تشيكوسلوفاكيا، وأنّ كلّ ذلك تمّ دون علم الحكومة والحزب الشيوعيّ، ودعوا الشعب والجيش إلى التزام الهدوء^(٢١)، مُشدّدًا على أنّ هذا العمل يُناقض مبادئ العلاقات الاشتراكيّة بين الدول^(٢٢).

وعند إعلان خبر الاجتياح، توافدت حشود غفيرة من المُواطنين حول مبنى اللجنة المركزيّة للحزب، حاملين اللافتات والأعلام ومُرددن اسم دوبتشيك، ومُغنّين النشيد الوطني رفضًا للتدخل العسكريّ، ودعمًا للحكومة الإصلاحية، وقام بعضهم بمُواجهة الدبابات السوفييتيّة^(٢٣) بأجسادهم ممّا أسفر عن مقتل ستة وإصابة أكثر من 200 وتصاعدت المُظاهرات والاعتصامات في الأماكن العامّة، بينما رفض الجيش التعاون مع القوّات الغازية بناءً على أوامر وزير الدفاع التشيكوسلوفاكيّ بتوجيه من الرئيس سفوبودا^(٢٤).

وقد دخلت قوّات كوماندوز سوفييتيّة من فرقة تامان النخبويّة بعد عدّة ساعات من اليوم نفسه، برفقة ضباط من المُخابرات السوفييتيّة وقوّات أمن الدولة التشيكوسلوفاكيّة، إلى مقرّ اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعيّ التشيكوسلوفاكي^(٢٥)، واعتقلت "دوبتشيك" وأعضاء آخرين في هيئة رئاسة الحزب الشيوعيّ التشيكوسلوفاكيّ الذين دعموا ربيع براج (باستثناء رئيس الوزراء أولديتش تشيرنيك، الذي اعتُقل في وقت سابق في مكتبه في مبنى وزراء الحكومة)؛ وبعد وقت قصير من خطف دوبتشيك ومسئولي الحزب الشيوعيّ التشيكوسلوفاكيّ الآخرين، سقطت تشيكوسلوفاكيا بأكملها تحت السيطرة العسكريّة السوفييتيّة^(٢٦).

يتبين من ذلك أن احتلال تشيكوسلوفاكيا كان ناجحاً بالنسبة للاتحاد السوفيتي من وجهة نظر عسكرية، وذلك بسبب تعاون وزير الدفاع التشيكوسلوفاكي مع المحتلين، حيث أصدر أمراً للجيش بعدم المقاومة، وتعاون نائب وزير الداخلية الذي دافع عن المحتلين ونفذ أوامره. ولكن من الناحية السياسية كان الاحتلال يعني الفشل، لأن المحتلين لم يجدوا من يعتمدون عليه، فقد تمت إدانة الاحتلال من قبل الحكومة التي اجتمعت نيابة عن تشيرنيك من قبل وزيرة الصناعة، وكذلك من قبل الجمعية الوطنية التي دعاها الرئيس سفوبودا إلى جلسة استثنائية في ٢١ أغسطس؛ وعلى الرغم من سيطرة العناصر المحافظة في البرلمان إلا أنه لم يجرؤ أحد على دعم الغزو، وأدانت الجلسة العامة للجمعية الوطنية هذا الغزو في جلستها العامة السادسة والعشرين غير العادية في اليوم التالي^(٢٧).

وعلى النقيض، فقد كان الفشل السياسي حليف للاتحاد السوفيتي، حيث يعني الإحراج الدولي لأنه عندما ظهرت أنباء عن قدوم قوات حلف وارسو إلى تشيكوسلوفاكيا بدعوة من الحكومة التشيكوسلوفاكية وقيادة الحزب في ٢١ أغسطس في الطبقات الصباحية للصحف المركزية لدول "وارسو الخمس" التابعة للشئون الخارجية في ذلك الوقت، أرسل الرئيس سفوبودا تعليماته لوزير الخارجية التشيكوسلوفاكي الذي كان في إجازة في يوغوسلافيا، بأن يذهب على الفور إلى نيويورك، ويقوم بعرض العدوان السوفيتي على مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، كما أدانت الأحزاب الشيوعية الكبرى في أوروبا الغربية التدخل، واندلع إضراب عام في البلاد، وكانت المقاومة السلبية المطلقة تتمثل في سياسة عدم التعاون مطلقاً مع هؤلاء المحتلين^(٢٨).

ورغم نجاح الخطة العسكرية، فقد فشلت موسكو في إقناع الشعب بأن دخول القوات تم بطلب تشيكوسلوفاكي، ورداً على الاحتجاجات أعلنت في 22 أغسطس 1968 أن قوات حلف وارسو " لن تنزع سلاح الجيش التشيكوسلوفاكي، وأمرت بتجنّب معسكراته والشوارع وأجهزة الدولة بهدف تهدئة الوضع، ومع ذلك واصل الشعب التشيكوسلوفاكي الاحتجاج في الساحات العامة مثل ساحة وينسيسلاس، وبالقرب من المحطات الإذاعية التي أصبحت تحت سيطرة الجيش السوفيتي، وحاول البعض مقاومة الاحتلال بصنع عبوات بدائية استهدفت بها العربات

العسكرية، ولكن القوّات ردّت بعُنفٍ ممّا أدّى إلى مقتل خمسة عشر على الأقل أمام مبنى الإذاعة في براج^(٢٩).

يتضح ممّا سبق أنّ دور الرئيس سفوبودا لم يكن بطوليًا كما قد يبدو للوهلة الأولى، بل كان هو الذي ساعد القيادة السوفييتية أخيرًا على الخروج من المأزق، عندما قام يوم ٢٢ أغسطس باستدعاء السفير السوفيتي في براج، وأبلغه بتشكيل وفد خاص يذهب معه إلى موسكو، ويتفاوض مباشرة مع "بريجنيف" من أجل التوصل إلى اتفاق، أي تطبيع الوضع رغم أنّ الجمعية الوطنية حثته على عدم الذهاب إلى أي مكان، ولكنه تجاهل رأيها^(٣٠).

على كل حال، غادر الوفد يوم ٢٣ أغسطس من براج إلى موسكو، وفي الوقت نفسه تمّ إحضار أعضاء هيئة الرئاسة برئاسة دوبتشيك إلى هناك، وتمّ تغييرهم من سجناء إلى أعضاء الوفد التشيكوسلوفاكي الذي كان من المفترض أن يتفاوض مع القيادة السوفييتية، وفي الوقت نفسه كان ممثلو "وارسو الخمسة" الذين أراد بريجنيف في الأصل إشراكهم في المفاوضات حاضرين أيضًا. وطبيعياً في الوضع الذي كانت فيه تشيكوسلوفاكيا محتلة عسكرياً، وكان جزء من الوفد التشيكوسلوفاكي من الموالين للسوفييت وكان البعض الآخر في وضع السجناء، كان من البديهي أن تنتهي المفاوضات كما انتهت^(٣١)، أي الاستسلام الكامل من الوفد التشيكوسلوفاكي للمطالب السوفييتية^(٣٢).

وبعد أربعة أيام من المحادثات أجرت قيادة "بريجنيف" أيضاً محادثات مع المسؤولين من الدول المشتركة الأخرى، واتفق الجانبان على التوقيع على بروتوكول موسكو^(٣٣) الذي فرض عكس العديد من عناصر ربيع براج، ولكنه ضمن أيضاً إعادة معظم الإصلاحيين البارزين بما في ذلك دوبتشيك، بالرغم من أنّ قرار إعادة المسؤولين التشيكوسلوفاكيين الرئيسيين لم يلق استحساناً من جانب بعض أعضاء المكتب السياسي السوفيتي والزعماء المتشددين في أوروبا الشرقية^(٣٤).

على العموم تمّ التوقيع على بروتوكول خاص في ٢٦ أغسطس^(٣٥) تعهد بموجبه الحزب التشيكوسلوفاكي بإعادة فرض السيطرة على وسائل الإعلام (أي الرقابة)، وحل المنظمات المناهضة للاشتراكية، وإعداد اتفاق من شأنه أن يشرع "البقاء المؤقت للقوّات السوفييتية" على

الأراضي التشيكوسلوفاكية بموافقة الحكومة التشيكوسلوفاكية، وحكومات الدول المتحالفة مؤقتًا في أراضي جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية بغرض تعزيز الحدود الغربية ضدّ الجهود الانتقامية المتزايدة للقوات العسكرية الألمانية الغربية، وكذلك بغرض تحقيق التطبيع الكامل للحياة العامة والسياسية في جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية، وأن يكون انسحاب القوات في غضون شهر واحد من تاريخ بدء مفاوضات موسكو في ٢٣-٢٦ أغسطس^(٣٦)، وإجراء تغييرات في الموظفين، وذلك في المقام الأول بإقالة وزيرى الداخلية والخارجية، ومن ناحية أخرى تعهد الجانب التشيكوسلوفاكي بعدم السماح بأي عقوبة للمتعاونين^(٣٧).

يتضح من ذلك أنّ البروتوكول كان برنامجًا سياسيًا لإلغاء ربيع براج بشكل منهجي، بما في ذلك إعادة تأسيس الدور القيادي للحزب الشيوعي، وسيطرته الكاملة على الصحافة، كما أقر وجود القوات، ولكن تمّ التأكيد على أنّها لن تتدخل في الوضع السياسي^(٣٨).

بعد توقيع جميع أعضاء الحكومة والحزب، قرّر السوفييت يوم ٢٧ أغسطس سحب قوات حلف وارسو من المدن الكبرى مع الحفاظ على سرية الاتفاقية، وفي اليوم نفسه بدأت القوات السوفيتية في الانسحاب من وسط المدينة، والمنطقة المحيطة بقلعة براج؛ وفي اليوم نفسه أيضًا أعلنت إذاعة تشيكوسلوفاكيا أنّ جميع المشاركين التشيكوسلوفاكيين في مفاوضات موسكو بقيادة الرئيس "سفوبودا" والسكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي "دوبتشيك" قد عادوا إلى وطنهم^(٣٩). وفي المقابل أعلنت القيادة السوفيتية انتهاء الأزمة التشيكوسلوفاكية، وسحب القوات تدريجيًا لاستعادة الوضع الطبيعي، وأكدت أنّ الزعماء التشيكيين أبلغوا الكرملين بخطوات تعزيز الاشتراكية، وحكم الطبقة العاملة شريطة عدم المساس بأسس الاشتراكية^(٤٠)، وفي تلك الليلة في حوالي الساعة ٥:٣٠ مساءً ألقى دوبتشيك خطابًا وديًا للغاية على الراديو، ودعا إلى وحدة الأمة وتوازنها، وأدان القرارات والتعليقات التي تستهدف نتائج مفاوضات موسكو^(٤١).

وقد أدى هذا الخطاب إلى تراجع ثقة الشعب، وقيام مظاهرات تُطالب بالإفصاح عن الحقيقة، ورفع المتظاهرون صورًا لدوبتشيك، واتهموا القيادة بالتلاعب لمحاولة تهدئة

الأوضاع^(٤٢)؛ ولتهدئة الوضع ألقى رئيس الوزراء تشيرنيك وجوزيف سمركوفسكي Josef smrkovský^(٤٣) تصريحات تدعو لسحب القوات وتحقيق مطالب الشعب^(٤٤).

جدير بالذكر أنه خلال مفاوضات موسكو عرض جوستاف هوساك Gustáv husák^(٤٥) الذي كان يعتبر حتى ذلك الحين مُصلحاً خدماته على بريجنيف، وانتقل إلى المعسكر المحافظ^(٤٦)، ويوم ٢٩ أغسطس تمّ انتخابه كأول أمين عام للحزب الشيوعي السلوفاكي^(٤٧).

بدأت قوات "حلف وارسو" في ٣٠ أغسطس ١٩٦٨ بالانسحاب من المُدن الرئيسية في تشيكوسلوفاكيا مُتجمعة على الحدود في انتظار الأوامر النهائية، وفي اليوم التالي عُقد اجتماع للجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي، حيث تمّ إقالة عدد من الأعضاء واستبدالهم بأشخاص مؤالين للاتحاد السوفيتي، بالإضافة إلى فرض رقابة على وسائل الإعلام؛ وتبع ذلك تخلص تدريجي من الإصلاحيين، ممّا أدّى إلى خيبة أمل "دوبتشيك"، الذي بدأ يفكر في الاستقالة مع بروز "هوساك" وتغيّر نهجه^(٤٨).

يتضح ممّا سبق أنّ القوات السوفيتية نجحت في احتلال البلاد، لكنها فشلت في تشكيل حكومة مؤالية للاتحاد السوفيتي، وعلى الرغم من تنفيذ قرارات بروتكول موسكو إلا أنّ السيطرة العسكرية أدت إلى فشل الإصلاحات، وهذا ممّا أسفر عن انتهاء حلم التشيكوسلوفاكيين في تحقيق حريتهم.

الخاتمة

١- عاشت تشيكوسلوفاكيا تحت ظل النظام الشيوعي في حالة قمع للحريات والتعبير عن الرأي، وتدهور للأوضاع الاقتصادية، والتي أثرت بشكل كبير في الشعب التشيكوسلوفاكي، الذي سعى إلى التغيير والتطلع إلى الحرية والديمقراطية؛ فقام الزعماء بحركة إصلاحية عام ١٩٦٨ عُرفت باسم "ربيع براج"، ولكن هذه الإصلاحات رفضها الاتحاد السوفيتي، وقام بغزو تشيكوسلوفاكيا، لأنه رأى أنها تُهدد نفوذه في المنطقة.

٢- قامت فئات "حلف وارسو" بقيادة الاتحاد السوفيتي في أغسطس ١٩٦٨ بغزو تشيكوسلوفاكيا، وسحقت حركة الإصلاح، واعتقلت "ألكسندر دوبتشيك" والقادة الإصلاحيين، وأعدت تشيكوسلوفاكيا إلى النظام الشيوعي التقليدي.

٣- فشلت محاولة الإصلاح التي قادها "ألكسندر دوبتشيك" في تحقيق أهدافها، وتم قمع الحلم الديمقراطي. وبصفة عامة كان لا بُد للاتحاد السوفيتي أن يظل مُسيطرًا على تشيكوسلوفاكيا حتى لا تنتشر روح الإصلاح إلى دول أخرى، وبقاء السيطرة على دول الكتلة الشرقية ليظل "حلف وارسو" قائمًا طالما ظل "حلف الناتو" قائمًا، وذلك حفاظًا على توازن القوى بين الكتلتين الشرقية والغربية.

هوامش البحث:

- (١) ليونيد إيليش بريجنيف (١٩٠٦-١٩٨٢): رَجُل دولة وسياسي سوفيتي، وعمل في وظيفة سكرتير أول الحزب الشيوعي السوفيتي (١٩٦٤-١٩٦٦)، ثم أميناً عاماً للحزب، ثم رئيساً للحزب والدولة ١٩٧٧. وقد انتسب إلى الحزب الشيوعي عام ١٩٣١، ثم عُيِّن مساعداً لخروتشوف (١٩٣٧)، والمفوض السياسي في فيروبتروفسك، حيث تآلق عسكرياً خلال الحرب العالمية الثانية. وعُيِّن سكرتيراً أول للحزب في جمهورية كازخستان؛ وساهم في تشجيع تطوير برنامج الاكتشاف الفضائي السوفيتي. كما عُيِّن سكرتيراً أول للحزب بعد عزل خروتشوف ومجموعته. وطوّر في مجال السياسة الخارجية (الوفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية) في ١٩٧٧ وساهم في وضع أسس الدستور السوفيتي الجديد الذي عُرف باسمه. أنظر: مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج ١، دار رواد النهضة، بيروت، ١٩٩٤، ص ٧١.
- (٢) ألكسندر دوبتشيك (١٩٢١-١٩٩٢): السكرتير الأول السابق للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي، وزعيم سياسي تشيكوسلوفاكي، خارج إطار الحرب، ذلك لأن اسمه ارتبط ارتباطاً وثيقاً بحركة "ربيع براج" التي التفت حولها أكثر القطاعات الشعبية، ثم عاد وبرز كأحد ألمع قيادات الحركة الإصلاحية من أواسط السبعينيات حتى وفاته؛ وقد رحل مع أبيه الذي كان شبيوعياً منذ الصغر إلى الاتحاد السوفيتي، ولم يعد لبلاده إلا في ١٩٣٨، وانتسب للحزب الشيوعي في ١٩٣٩، وشارك في مقاومة الاحتلال الألماني إبان الحرب العالمية الثانية، وتفرغ لشئون الحرب في ١٩٤٩ وتلقى تدريباً في المدرسة الحزبية العليا في موسكو ١٩٥٥-١٩٥٨، وأخذ يتقدم بسرعة في صفوف الحزب ليصبح في عام ١٩٦٣ السكرتير الأول للحزب في سلوفاكيا (وهو سلوفاكي)، وعضو هيئة رئاسة الحزب في تشيكوسلوفاكيا، فالسكرتير الأول للحزب في مطلع ١٩٦٨، وأشرف على إدخال إصلاحات ديمقراطية تحت شعار (اشتراكية ذات وجه إنساني)، وواجه انتقادات سوفييتية بسبب دوره الأساسي في ربيع براج، واضطر إلى الاستقالة في أبريل ١٩٦٩ ليحل محله "جوستاف هوساك"؛ وبعد شهر عُيِّن دوبتشيك سفيراً في أنقرة قبل أن يطرد من الحزب في ٢٦ يونيو ١٩٧٠، فعاش معزولاً في الظل، يحلم باليوم الذي يستعيد فيه ربيع براج مساره، وقد حل ذلك اليوم بعد أكثر من عقدين من الزمن، وكان له دوره في الحركة الإصلاحية المتحدة التي شهد انتصارها الديمقراطي من دون أن تولمه مشاهدة تمزق الدولة التشيكوسلوفاكية. أنظر:
- Kirschbaum (Stanislav J.), Historical Dictionary of Slovakia, Second Edition, The Scarecrow Press, Lanham, UK, 2007, P.106.
- (٣) A National Security Archive, Summary Report and Transcript of Telephone Conversation between Leonid Brezhnev and Alexander Dubček, August 9, 1968.
- (٤) تشيرني ناد نيسو: بلدة تقع على الحدود مع الاتحاد السوفيتي. للمزيد أنظر:
- Tkáč-Zabáková (Lenka), Reakcia Východného A Západného Sveta Na Udalosti V Československu V Roku 1968, Diplomová Práca, Fakulta Stredoeurópskych Štúdií, Univerzita Konštantína, Nitra, 2014, P.73.
- (٥) A National Security Archive, Transcript of Leonid Brezhnev's Telephone Conversation with Alexander Dubček, August, 13 1968.
- (٦) الكسندر دوبتشك: ربيع براج: الأمل لا يموت، ترجمة: غياث الموصلي، ط ١، حمص، سوريا، ٢٠٠١، ص ٣٠٤.
- (٧) Bischof (Günter) & Karner (Stefan), The Prague Spring and the Warsaw Pact invasion of Czechoslovakia in 1968, Lexington Books, New York, 2010, P.62.
- (٨) Crump (Laurien), The Warsaw Pact Reconsidered International relations in Eastern Europe, 1955-69, First published, Routledge, Taylor & Francis Group, New York, .2015, P.239.
- (٩) Kocian (Jiří), Tematická příručka k československým dějinám 1948-1989, Vydání první, elektronickou, Ústav pro soudobé dějiny Av ČR, Praha, 2019, P.947.
- (١٠) Bischof (Günter) & Karner (Stefan), Op. Cit., P.6٣.
- (١١) Rychlík (Jan), Československo v období socialismu 1945-1989, 1. Vyd, Vyšehrad, Praha, Česká republika, 2020, P.215.

(١٢) أولديتش تشيرنيك (١٩٢١-١٩٩٤): سياسي تشيكي، شَغَلَ عددًا مِّنَ المناصب في جهاز الحزب الشيوعي لتشيكوسلوفاكيا، وَفِي الحكومة مُنذ مُنتصف الخمسينيات بين عامي ١٩٦٣، ١٩٦٨، وكان نائبًا لرئيس الوزراء؛ وخلال تلك السنوات كان يُؤيِّد الجهود المبذولة لتنفيذ إصلاحات اقتصادية محدودة، وترأس الوفد الذي قام بالذهاب إلى موسكو في أغسطس ١٩٦٨ لتوقيع إتفاقية التجارة الحرة لأوروبا الوسطى، كما وقعوا على قانون الاستسلام المُسمَّى بـ "بروتوكول موسكو" لعام ١٩٦٨، وأصبح رئيسًا لوزراء تشيكوسلوفاكيا من عام ١٩٦٨ إلى عام ١٩٧٠؛ وفي أبريل ١٩٦٩ تمَّ استبداله بواسطة لوبومير ستروجال كرئيس للوزراء، ولكن سُمح له بأن يكون عضوًا في المكتب السياسي حتى عام ١٩٧٠ تقديرًا لجهوده، وَفِي عام ١٩٧٠ تَوَلَّى مُنصب وزير التكنولوجيا والاستثمار، وبعد عام واحد تمَّ فصله وطرده مِّن الحزب الشيوعي خلال مرحلة لاحقة من عمليات التطهير حتى عام ١٩٨٩، وبعد الثورة المخملية أصبح رئيسًا لاتحاد المُدُن والمُجتمعات مِّن عام ١٩٩٠ إلى عام ١٩٩١. أنظر:

- Fawn (Rick) & Hochman (Jiří), Historical Dictionary of the Czech State, Second Edition, The Scarecrow Press, Lanham, UK, 2010, PP.30-31.

(١٣) عيسى سعد عيسى: الأزمة التشيكوسلوفاكية ٥ كانون الثاني - ٢٦ آب لسنة ١٩٦٨، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، العراق، دت، ص ص ١٩٢-١٩٣.

(١٤) Drábik (Jakub), Operation Danube Reconsidered: The International Aspects of the Czechoslovak 1968 Crisis, ibidem-Verlag, Stuttgart, German, 2021, P.٨٦.

(١٥) لودفيك سفوبودا (1895-1979): جنرال تشيكي، قاتل خلال الحرب العالمية الأولى في صفوف الفيلق التشيكوسلوفاكي في الاتحاد السوفيتي، ووصل إلى رتبة مُقدِّم عام ١٩٣٨، وَفِي عام 1939 قام بتنظيم وحدة قتالية تشيكية في بولندا، والتي انسحب بها إلى الاتحاد السوفيتي قبل تقدُّم الألمان، وتمَّ تنصيبه كقائد مِّن القُوَّات المُسلحة التشيكوسلوفاكية في الاتحاد السوفيتي، وتولى قيادة القُوَّات في القتال على الجبهة الشرقية، وتمت ترقبته إلى رتبة جنرال في عام 1945؛ وبعد تحرير تشيكوسلوفاكيا عُيِّن وزيرًا للدفاع، وقد دعم الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي خلال أحداث فبراير ١٩٤٨، وفي عام ١٩٥٠ تمَّ عزله وسجنه لعدة أشهر، وَمِن عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٦٨ شَغَلَ مناصب عامَّة مُختلفة، وفي عام ١٩٦٨ تمَّ اختياره ليخلف أنتونين نوفوتني كرئيس للجمهورية التشيكوسلوفاكية، ولم يُعارض الزحف السوفيتي على تشيكوسلوفاكيا، ولكن كان له الفضل في مُنعهم من تنصيب حكومة موالية لهم بعد الغزو، وشغل منصب الرئيس حتى ٢٩ مايو عام ١٩٧٥، وتولى مكانه "جوستاف هوساك" الرئاسة. أنظر:

- Fawn (Rick) & Hochman (Jiří), Op. Cit., P.٢٤٤.

(١٦) Bischof (Günter) & Karner (Stefan), Op. Cit., P.63.

(١٧) Ibid., P.٦٤.

(١٨) Ibid.

(١٩) الكسندر دويتشك: مرجع سابق، ص ٣١٧.

(٢٠) Rychlík (Jan), Op. Cit., P.٢٢٨.

(٢١) A National Security Archive, Statement by the CPCz CC Presidium Condemning the Warsaw Pact Invasion, August 21, 1968.

(٢٢) Bystrický (Valerián) & a (Kol) ,Rok 1968 Na Slovensku A V Československu, Historický ústav SAV, Prodama s.r.o., Bratislava, 2008, P.١٨٥.

(٢٣) الكسندر دويتشك: مرجع سابق، ص ٣٢٠.

(٢٤) عيسى سعد عيسى: مرجع سابق، ص ١٩٤.

(٢٥) Bischof (Günter) & Karner (Stefan), Op. Cit., P.6٤.

(٢٦) The National Archives of the UK The Cabinet Papers (Cab 128/43), Report to the British Cabinet summing up the situation in Czechoslovakia in August 1968, Secret.

(٢٧) Rychlík (Jan), Op. Cit., P.٢٢٩.

(٢٨) Ibid., P.٢٣١.

(٢٩) عيسى سعد عيسى: مرجع سابق، ص ١٩٦.

(٣٠) Rychlík (Jan), Op. Cit., P.٢٣٢.

(٣١) Ibid.

- (٣٢) فلاديمير تيسمانيانو: تاريخ أوروبا الشرقية، ترجمة: أمل رواش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٣٧.
- (٣٣) A National Security Archive, The Moscow Protocol, August 26, 1968.
- (٣٤) Bischof (Günter) & Karner (Stefan), Op. Cit., P.66.
- (٣٥) الكسندر دوبتشك: مرجع سابق، ص ٣٦١.
- (٣٦) Národní archiv, f. KSČ – Ústřední výbor (1945–1989) Alexander Dubček, sv. 28, a. j. 288, Podklady pro jednání o otázkách souvisejících s dočasným pobytem sovětských vojsk na území ČSSR.
- (٣٧) Windsor (Philip) & Roberts (Adam), Czechoslovakia, 1968: Reform, Repression and Resistance, First Edition, Chatto & Windus London for the Institute for Strategic Studies, London, 1969, PP. ١٧٨، ١٨٢.
- (٣٨) Bracke (Maud), Which Socialism, Whose Détente?, West European Communism and the Czechoslovak crisis, 1968, Central European University Press, Budapest, New York, 2007, P. ٢٠٠.
- (٣٩) Kocian (Jiří), Op. Cit., P. ٩٥٩.
- (٤٠) Задорожнюк, От крушения Пражской весны к триумфу «бархатной» революции. Из истории оппозиционного движения в Чехословакии (август 1968 - ноябрь 1989 г.), Индрик, Москва, 2008, P. ٢٥.
- (٤١) Kocian (Jiří), Op. Cit., P. ٩٦٠.
- (٤٢) عيسى سعد عيسى: مرجع سابق، ص ٢٠٣.
- (٤٣) جوزيف سمركوفسكي (١٩١١-١٩٧٤): كان ذو رتبة مُنخفضة في الحزب الشيوعي قبل الحرب العالمية الثانية، و خلال الحرب كان نشطاً في المقاومة المناهضة للنازية، وعُيّن نائباً لرئيس اللجنة الوطنية التشيكية خلال انتفاضة براج في مايو ١٩٤٥، وتمّ سجن سمركوفسكي منذ عام ١٩٥١ مُتهماً بالقومية حتى عام ١٩٥٥؛ وفي عام ١٩٦٣ أعيد تأهيله. وبصفته عضواً في اللجنة المركزية ساهم بشكل كبير في سقوط "أنونين نوفوتني" في يناير ١٩٦٨، وأصبح رئيساً للجمعية الوطنية خلال ربيع براج عام ١٩٦٨، وكان أحد القادة المُخططين إلى موسكو حيث وقع على وثيقة الاستسلام، وبالرغم من ذلك فقد استمر في مقاومة الضغط السوفيتي لتجديد النظام القديم، وتمّ تخفيض رتبته في عام ١٩٦٩. أنظر:
- Fawn (Rick) & Hochman (Jiří), Op. Cit., P. ٢٣٧.
- (٤٤) Korbela (Josef), Twentieth-century Czechoslovakia : The Meanings of its History, Columbia University Press, New York, 1977, PP. 310-311.
- (٤٥) جوستاف هوساك (١٩١٣-١٩٩١): مُحام وسياسي شيوعي سلوفاكي، ارتقى هوساك إلى أعلى منصب في الحزب الشيوعي السلوفاكي عام ١٩٤٣، بعد وضع كبار قادة الحزب في السجن، وشارك في اتفاق "اتفاقية عيد الميلاد" مع القوى الأخرى المناهضة للنازية في سلوفاكيا في عام ١٩٤٣، وأصبح عضواً في المجلس الوطني السلوفاكي السري، وشارك في الانتفاضة الوطنية السلوفاكية عام ١٩٤٤؛ كما تولى مناصب رفيعة في الحكومة والحزب حتى عام ١٩٥١، وهو العام الذي اعتُقل فيه بتهمة القومية، وتمّ تخفيض رتبته. وفي عام ١٩٥٤ حُكم عليه بالسجن مدى الحياة، وأُفرج عنه عام ١٩٦٠، وتمّ قبوله مرّة أُخرى في الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي عام ١٩٦٣، خلال براج ربيع عام ١٩٦٨، وأصبح هوساك نائباً لرئيس وزراء الحكومة المركزية، ودعم إصلاحات ألكسندر دوبتشك؛ وبعد الغزو السوفيتي مُباشرة انضم إلى المجموعة المؤالية للسوفيت في الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي، وفي عام ١٩٦٩ تمت مكافأته بمنصب السكرتير الأول للحزب الشيوعي تشيكوسلوفاكي بعد إزالة دوبتشك، وقد لعب هوساك الدور الرئيس في استعادة الدكتاتورية، وفي عام ١٩٧٥ تولى منصب رئيس وزراء تشيكوسلوفاكيا، وأُقيل في ديسمبر ١٩٨٩. أنظر:
- Kirschbaum (Stanislav J.), Op. Cit., PP. 149-150.
- (٤٦) Rychlík (Jan), Op. Cit., P. ٢٣٣.
- (٤٧) Mahoney (William M.), The History Of The Czech Republic And Slovakia, Greenwood, Santa Barbara, California, the United States of America, 2011, P. ٢٩٨.
- (٤٨) عيسى سعد عيسى: مرجع سابق، ص ص ٢٠٤-٢٠٥.